(الفصل السادس عشر)

"الاستعداد للخلاص"

سأل الشيخ نور الدين عن ماهية المشكلة المتعلقة بناردين؛ فحكى له الحكاية منذ البداية، حتى اللحظة التي سمع فيها محادثتها التليفونية مع طبيبتها، وكيف أنها أخفت عنه هذا الأمر خوفًا عليه وعلى حياته، ثم في غضب قال:

- **أبدًا لن أتركها تعود إلى ذلك الحقير المختل مهما كان الثمن حتى ولو كان حياتي، حتى لو اضطرني الأمر لقتله سأفعل، لن أسمح بأن تعاني ناردين لحظة عذاب أخرى مع ذلك القذر مهما كان الثمن.**

فربت الشيخ على كتفه قائلًا:

- **رويدك يا ولدي، انتظر، يجب علينا التفكير بهدوء في هذا الأمر؛ فالأمر جد خطير، يجب أن تكون كل خطوة فيه مدروسة ومحسوبة وإلا، فالثمن سيكون فادحًا. نحن نتحدث عن أرواح هنا يا ولدي، عن روحك وروح ناردين وأرواح أخرى بريئة؛ لذا وجب علينا التفكير بروية وحكمة.**
- **ماذا سنفعل؟ وكيف نتصرف؟ والأهم من ذلك هو حماية ناردين ومنعها من التضحية بنفسها.**

- **يجب أن تعلم بأنك قد علمت بهذا الأمر وأنه علينا جميعًا التفكير في حل للخلاص من هذا المعتوه المختل.**

فرد نور الدين:

- **معك حق يا شيخ حامد، يجب علينا التفكير بهدوء وحمايتها والآن سأذهب إليها؛ لأخبرها بعلمي بما حدث حتى أمنعها مما تفكر به من العودة إلى ذلك المختل.**
- **حسنًا يا ولدي، يجب عليَّ حمايتكما؛ فاذهب وأحضر ناردين لتقيما هنا معي إلى أن ننهي هذا الأمر، لن أترككما في هذا السكن بمفردكما بعد الآن؛ فالأمر أصبح جد خطيرًا، حتى نرى ماذا سنفعل.**
- **حسنًا، سوف أحضرها وآتي قبل أن يحل المساء.**

عاد نور الدين إلى السكن ليتحدث إلى ناردين ، عندما وصل إلى غرفتها طرق الباب بهدوء حتى لا يفزعها؛ ففتحت له وكانت في منتهى الإعياء، وجهها شاحب كأنها جثة باردة قد غادرتها روحها منذ وقت طويل، عيناها ذابلتان قد أطفأت الدموع بريقهما فتركتهما مظلمتان، فلما شاهدها على هذه الحالة، ضمها في حنان ولم يتفوه بحرف، عانقها في صمت؛ لتسمع دقات قلبه وهي تطمئنها بأنه لن ينبض إلا لها وبها، لتختلط أنفاسه بأنفاسها؛ فتخبرها بأنه لا يمكن لمخلوق أن يفصلهما عن بعضهما مهما حدث؛ لتشعر بأمانه وذراعيه

تحتويها في قوة وإصرار، مرت لحظات صمت طويلة، لكنها حكت الكثير من المشاعر التي عجزت الكلمات عن ترجمتها، شعرت وهي بين ذراعيه كأنها في قلعة حصينة، تمنت لو توقف الزمن عند هذه اللحظة؛ فوضعت رأسها على كتفه مطبقة عينيها ثم تنفست بعمق وكأنها تسحب أنفاسه؛ لتحبسها بداخلها لتظل معها إلى الأبد بعد أن تفارقه لمصيرها المحتوم. شعر بما تعانيه وهي بين ذراعيه؛ فقرر أن ينهي عذابها وحيرتها فابتسم في حنان قائلًا:

- **حسنًا يا حبيبتي، تعالي فأنا أريد أن أتحدث معك.**

أمسك بيديها في رقة ليجلسها على المقعد المقابل له وجلس هو قبالتها ممسكًا بيدها وهو ينظر في عمق عينيها بحب شديد ثم قال:

- **حبيبتي، هوني على نفسك؛ لقد علمت كل شيء، علمت سبب هذه الحالة التي أنتِ عليها.**

نظرت إليه باندهاش، ثم بصوت مرتبك ومرتجف قالت:

- **علمت؟ ما الذي علمته يا نور الدين؟**

فأجابها وهو ما زال قابضًا على يديها برقة ليطمئنها.

- **علمت بأن هذا الحقير المدعو طليقكِ قد أتى إلى هنا، وعلمت ما طلبه منكِ؛ لقد سمعت كل حديثكِ مع طبيبتك؛ فأنا لم أذهب كما ظننتي. عندما شككت**

بأن الأمر به شيء مريب تظاهرت بأنني قد غادرت ثم عدت؛ فسمعتك تتحدثين، فعلمت كل شيء...

قاطعته في فزع شديد قائلةً:

- **أرجوك يا نور الدين دعني أذهب؛ فهذا هو الصالح لكَ ولي، ولكل من حولي، أرجوك، أنا أستطيع أن أتحمل الألم والعذاب فلقد اعتدته، لكني لا أستطيع أن أتحمل فقدانكَ أبدًا. أرجوك، لا تحاول منعي؛ فلم يعد هناك شيء نستطيع فعله؟**

ثم انخرطت في البكاء، فحاول تهدئتها قائلًا:

- حبيبتي، أنصتي إليَّ، أنا لن أتركك مهما كان الثمن، ثم أن أرواحنا بيد الله وحده، ولا أحد يستطيع فعل شيء دون إرادة الله فاسمعيني جيدًا، الآن اجمعي بعض أشيائكِ، لقد قصصت كل شيء على الشيخ حامد؛ فنصحني بأن نقيم أنا وأنت عنده هذه الفترة حتى ننتهي من هذه المشكلة. هيا لنذهب، وهناك ستكونين بأمان لحين انتهاء هذه المشكلة.

فأجابته في خوف باكية:

- لا يا نور الدين، دعني أذهب؛ حتى لا يتأذى أحد أرجوك...

فقاطعها في حدة وحزم صارخًا:

- قلت هيا، هيا يا ناردين.

وأمسك بيديها ليغادرا إلى دار الشيخ. هناك جلس الثلاثة يحاولون إيجاد حل لهذه الكارثة فقال الشيخ حامد:

- اسمع يا نور الدين سوف نقوم أنا وأنت بعمل دوريات مراقبة هنا على باب الدار؛ تحسبًا لحدوث شيء ما، فمن المؤكد أن هذا المختل سوف يأتي إلى السكن إذا لم تذهب ناردين؛ لذا يجب علينا أن نأخذ حذرنا، وفى الصباح سوف أستدعي أصدقاء لي قدامى من سكان الجبال؛ ليأتوا ويساعدوننا في الحراسة.

فأجابه نور الدين:

- حسنًا.

فتابع الشيخ:

- بالنسبة لناردين سوف تبقى هنا، لن تخرج لأي مكان حتى ننهي أمر ذلك المختل.

ونظر إلى ناردين قائلًا:

- مفهوم؟ لن تخرجي من هنا مهما حدث.

فأجابته وهي تبكي:

- مفهوم، ولكني خائفة جدًا عليكما.

فطمأنها كل من الشيخ ونور الدين قائلين:

- لا تخافي فلن يحدث شيء.

ثم تابع نور الدين قائلًا:

- غدًا إن شاء الله، تتصلين بطبيبتك؛ لتنظري ماذا فعلت؟

- حسنًا، سأفعل.

- حسنًا يا حبيبتي، لتخلدي الآن إلى النوم؛ فأنتِ مجهدة ومتعبة جدًّا، غدًا يفعل الله ما يريد.

فابتسمت وأغمضت عينيها قابضة بيديها على يديه حتى نامت؛ فنهض بهدوء متجهًا خارج الدار فوجد الشيخ حامد وقد أشعل كومة من الحطب واضعًا عليها إبريقًا للشاى، وهو يجلس في ترقب أمام باب الدار معلقًا بندقيته على كتفه، فجلس بجواره ثم قال متنهدًا

- أوف، ماذا سنفعل؟ فبعد غد سيأتي ذلك المختل؛ ليأخذ رد ناردين على عرضه. والله، إن شيطانى ليحدثني بأن أذهب وأقتله؛ ليستريح العالم من مختل مثله.

نهره الشيخ على الفور في غضب قائلًا:

- إياكَ، إياكَ أن ترتكب جنونًا مثل هذا، أجننت أنت؟ وماذا سيحدث لك بعد أن تقتله؟ هل فكرت ماذا سيحل بك بعد قتله؟ سوف تشنق، هل هذا ما

تريده؟ تترك ناردين وحدها في هذه الحياة؟ عد إلى صوابك، تمالك نفسك وأخرج هذه الأفكار من رأسك. اترك الأمر لي، سوف أحله بطريقتي.

فتنهد نور الدين ثم قال متسائلًا:

- ولكن كيف؟ أخبرني يا شيخ، هل لديك خطة؟

صمت الشيخ قليلًا وهو يقلب الشاى في الكوب بالملعقة وكأنه يقلب الأفكار في رأسه، ثم نظر إلى نور الدين بعمق مجيبًا:

- أجل، لدي خطة وحل مؤقت في الوقت الراهن؛ حتى نرى ما الذي سيحدث لاحقًا.

فاعتدل نور الدين في مجلسه وباهتمام شديد قال:

- وما هي هذه الخطة؟ أخبرني من فضلك.

فأجابه الشيخ وهو يحتسي كوب الشاى خاصته قائلًا:

- سوف أخبرك، ولكن ليكن بعلمك أنت وناردين لن تكونا طرفًا في هذه الخطة، ستكونان بعيدين تمامًا عن هذا الأمر، هل فهمت؟ يجب أن لا تكون لكما أي علاقة لا من قريب ولا من بعيد بما سيحدث، مفهوم؟

اندهش نور الدين؛ فهو لم يفهم، كيف سيكون هو خارج هذه الخطة؟ وكيف سينقذ ناردين إذن؟ وما هو دوره؟ ثم رد متسائلًا:

- أنا لا أفهم شيئًا.

-الآن سوف تفهم كل شيء، إليك الخطة، ذلك الحقير سوف يأتي بعد غد؛ ليأخذ جواب ناردين على عرضه، أليس كذلك؟

فأجابه نور الدين في عصبية شديدة:

- أجل، ولكني لن أسمح له برؤيتها أبدًا.

فرد الشيخ في هدوء:

- نعم، نعم، انتظر حتى أتم حديثي.

فاعتذر قائلًا:

- عفوًا يا شيخ، تفضل، لن أقاطعك مرة أخرى، لا تؤاخذني.

فابتسم الشيخ في دهاء قائلًا:

- وعندما يأتي المختل بالتأكيد لن يجد ناردين في استقباله، بل سيجد رجال معارفي من سكان الجبل كما تقولون أنتم أهل الحضر عليهم مطاريد؛ فخلال سنوات عمري الماضية كنت أسكن معهم وأعيش بالجبل، لكني منذ سنوات قليلة قررت أن أستقر هنا في هذه الدار، دعك من هذا الأمر الآن، نعود لموضوعنا، وسيكون بانتظاره أشد رجالي وأشجعهم، سيقبضون عليه وعلى رجاله وسيأخذونه إلى مغارة في الجبل. هناك سوف أتعامل أنا معه وسأحاول إيجاد حلًا، فإما أن يترككما وشأنكما وإما ستكون نهايته؛ لذلك لن تظهرا أنت وناردين في الصورة أبدًا، ستظلان بعيدين عن هذا الأمر. بعد أن يتم أمر

اختطافه ستعودان أنت ونادين إلى السكن وتتابعان حياتكما وعملكما بشكل طبيعي، هل فهمت؟

فأجابه نور الدين:

- نعم، ولكن أليس هذا الأمر خطيرًا، وقد يعرضك للمساءلة القانونية، أو لا قدر الله قد تفقد روحك، لا، لا، فأنا لا أقبل بأن أعرضك لمثل هذا الخطر.

قاطعه الشيخ فى إصرار قائلًا:

- **سوف تنفذ ما أخبرتك به دون نقاش، انتهى الموضوع، وأغلق على هذا، هل فهمت؟ هيا اذهب لتنام أنت الآخر واتركني لديَّ أعمال سوف أنجزها.**

نهض نور الدين وهو ينظر إلى الشيخ حامد بكل حب وعرفان، ثم عانقه بشدة قائلًا:

- **حسنًا يا والدي، ولكن عدني بأنك سوف تهتم بنفسك ولن تعرضها للخطر.**

فعانقه الشيخ بدوره بنفس الحب والعرفان ثم رد قائلًا:

- **لا تخف يا ولدي، إن شاء الله كل شيء سوف يصبح جيدًا.**

ثم تركه وذهب لينام تاركًا الشيخ لأعماله وخططه حتى حل صباح اليوم التالي.